نسمات الأدب
لماذا نحن؟
مصطفى براكنة

لماذا نحن

مصطفى براكنة

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب :قصة قصيرة

المؤلف:مصطفى براكنة

غلاف الكتاب: منى وجيه

موك اب الكتاب:سها منصور

تنسيق داخلي:جيهان سمير

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

المقدمة

سـنبحر معـا فـي هـذه القصـة التـي تنسـج خيوطهـا مـن نسـيج الخيـال الواسـع، حيـث تتشـكل الكلمـات كصـفحات كتـاب ينتظـر قارئـه ليفـك رمـوزه ويغـوص فـي أعماقـه. فكـل حـدث يحمـل فـي طياتـه سـرا خفيـا، وكـل سـر يخفـي خلفـه ألمـا دفينـا، خاصـة حـين يكـون مرتبطـا بفقـدان الأحبـة وانكسار الروابط التي كانت يوما متينة.

ليسـت مجـرد قصـة تقـرأ، بـل هـي تجربـة يعيشـها القـارئ، يسـير بـين سـطورها، يستشـعر أحـزان شخصـياتها، ويواجـه الأسـئلة التـي تطرحهـا الحيـاة بـين صـفحاتها. وكـل مـن يطـوي آخـر صـفحة منهـا، لا يخـرج كمـا دخـل، بـل يحمـل معـه

دروســا وعبــرا تعينــه علــى شــق طريقــه فــي دروب الحيــاة، مــدركا أن الألــم قــد يكــون بوابــة للفهــم، وأن الفقــدان لــيس نهايــة، بــل بداية لإدراك معنى البقاء والمضي قدما.

*****

دوى صـــوت القصـــف فـــي أرجـــاء القـــدس، مـــزق صـــمت الليـــل وأحـــال المدينـــة إلـــى رماد.

كانـــت أصـــوات الانفجـــارات تهـــز الأرض، فيرتجـــف الأطفـــال، وتـــزداد قلـــوبهم خوفـــا وهلعـــا. لـــم تكـــن القـــدس هكـــذا يومـــا، لقـــد كانـــت مهـــوى أفئـــدة الأنبيـــاء، مدينـــة الســـلام، لكنهـــا اليـــوم صـــارت مســـرحا للألـــم والمـــوت،انتفض أيـــوب مفزوعـــا مـــن صـــوت القنابـــل، عينـــاه تبحثـــان فـــي الظـــلام عـــن إخوتـــه، ثـــم ركـــض نحـــوهم ليحمـــيهم بجســـده المرتجـــف، صـــوته كـــان حازمـــا رغم الرعب الذي ينهش قلبه:

-زينـــب، عمـــر، رقيـــة! هـــل أنـــتم بخيـــر؟ لا تقلقوا، ستفرج بإذن الله... إن الله معنا.

تســللوا إلــى زاويــة ضــيقة بــين الجــدران المهدمــة،يحاولون الاحتمــاء مــن القصــف العشــوائي، قلــوبهم تخفــق بخــوف،وأعينهم تبحــث عــن أمــان مفقــود. هــدأت الأوضــاع قلــيلا، لكــن الرعــب ظــل مخيمــا علــى المكــان. فــي تلــك اللحظــة،انطلقت شــهقات زينــب، وانهالــت دموعهــا الحارقــة علــى وجههــا الصــغير المتعب، قبل أن تنطق بصوت متهدج:

-أخــي أيــوب، لمــاذا يعــيش كــل أطفــال طفولتهم،إلا أطفال القدس وفلسطين؟

صــمت أيــوب، لــم يجــد إجابــة تخفــف مــن وجعها،كيف لــه أن يشــرح لهــا مــا تعجــز القلــوب عــن احتمالــه؟ كــان صــبورا، مــتحملا لأجلهــم،

لكنـه فـي داخلـه كـان يحمـل جبـالا مـن الحـزن لا يبوح بها.

أيـــوب، الابـــن البكـــر، لـــم يتجـــاوز الخامســـة عشـــرة مـــن عمـــره، لكنـــه يحمـــل مســـؤولية تفـــوق ســـنه بكثيـــر. كـــان يتيمـــا، فقـــد والديـــه تحـــت قصـــف الاحـــتلال الغاشـــم، ولـــم يبـــق لـــه ســـوى إخوتـــه الثلاثـــة: التوأمـــان زينـــب ورقيـــة ذاتـــا العشـــر ســـنوات، وأصـــغرهم عمـــر، الـــذي لـــم يتجـــاوز الخامســـة، وتركتـــه أمه في مهده قبل أن يسرقها الموت.

كـــان اســـمه يحمـــل معنـــى الصـــبر، لكنـــه لـــم يكـــن مجـــرد اســـم، بـــل واقعـــا يعيشـــه كـــل يـــوم. خاصـــة مـــع زينـــب، التـــي أنهكتهـــا صـــدمات الحـــرب، حتـــى أصـــابتها بنوبـــات مـــن الـــذعر والهلوســـة، فقـــدت عقلهـــا مـــن هـــول مـــا

رأت، وكانـــت تحتـــاج رعايـــة خاصـــة، لـــم يكن أحد غيره ليمنحها ذلك.

نهـــض مـــن بـــين الركـــام، بيتـــه لـــم يعـــد بيتـــا،مجرد جـــدران متصـــدعة تشـــهد علـــى حجـــم الـــدمار، خـــرج إلـــى الأزقـــة المـــدمرة ليبحـــث عـــن جـــده، وحـــين وجـــده، كـــان العجـــوز فـــي حـــال يرثـــى لهـــا، جســـده الضـــعيف متكـــور علـــى نفســـه، وعينـــاه تحـــدقان فـــي الفـــراغ. هـــرع إليـــه أيوب،أمســـك بيديـــه المرتعشـــتين، وقـــال بصوت يملؤه الألم:

-جـــدي، هـــل أنـــت بخيـــر؟ ســـامحني، تركتـــك وحيدا...

ابتســـم الجـــد رغـــم وجعـــه، مســـح علـــى رأســـه بحنان، وقال بصوت مبحوح:

-لا تقلـــق، يـــا بنـــي... أنـــت فقـــط اهـــتم بإخوتك.

أومـــأ أيـــوب برأســـه، لكـــن قلبـــه كـــان يعتصـــره الألـــم، ففـــي ليـــال كثيـــرة، كـــان يبكـــي بصـــمت، لا خوفـــا، بـــل حزنـــا علـــى مـــن فقـــدهم، علـــى والديـــه، علـــى جيرانـــه،على طفولته المسلوبة.

ومـــع ذلـــك، ظـــل واقفـــا، كجـــدار مقدســـي يـــأبى الســـقوط، فهـــو يعلـــم أن الحيـــاة فـــي القـــدس ليســـت مجـــرد حيـــاة، بـــل صـــمود... صـــمود رغم الألم.

أطـــل الصـــباح البـــاكر علـــى المدينـــة التـــي اعتـــادت علـــى الألـــم، يكســـوها جليـــد الشـــتاء القاســـي، وكأنـــه يواســـي العـــائلات الثكلـــى

ببـــرده الصـــامت، يشـــاركهم صـــبرهم علـــى فراق الأحبة.

خـــرج أيـــوب مـــن منزلـــه المتهالـــك، وعينـــاه تلحظـــــان المشـــــهد المعتـــــاد: صـــــراخ الأطفال،نحيـــب الأمهـــات، وأخبـــار المـــوت المفـــاجئ التـــي أصـــبحت خبـــزهم اليـــومي. لـــم يعـــد شـــيء يفاجئـــه، فقـــد صـــار الألـــم رفيـــق دربـــه،ركض مســـرعا يبحـــث عـــن أي طعـــام يســـد بـــه رمـــق أخوتـــه الصـــغار. بعـــد جهـــد طويل،وجـــد بضـــع فتـــات، بالكـــاد تكفـــي لإســـكات جوعـــه، لكنـــه لـــم يتـــردد فـــي منحهـــا لهـــم، مفضـــلا جوعـــه علـــى رؤيـــة عيـــونهم تذبل من الحرمان.

عـــاد إلـــى البيـــت ليجـــد أختـــه زينـــب تمســـك شـــعرها وتصـــرخ بـــأعلى صـــوتها، غارقـــة

فـــي نوبـــة مـــن الألـــم النفســـي المعتـــاد. لـــم يكـــن ذلـــك غريبـــا علـــى أيـــوب، فقـــد اعتـــاد علـــى هـــذه اللحظـــات، فـــاقترب منهـــا بحنـــان، ربـــت علـــى كتفيهـــا، وهـــدأ مـــن روعهـــا حتـــى نامـــت فـــي حضـــن رقيـــة، التـــي لـــم تفارقهـــا يوما.تركهمـــا تســـتريحان، وخـــرج مطمئنـــا على جده العجوز.

دخل غرفته الصغيرة مسرعا:

-جدي، هل تحتاج إلى شيء؟

رفـــع الرجـــل المســـن نظـــره إليـــه بعينـــين متعبتين وقال بصوت واهن:

-أنـــا بخيـــر، لكـــن لا تتـــرك أخواتـــك وحـــدهم، قد يقصفون في أي لحظة.

وكـــأن إحســـاس الجـــد كـــان نـــذيرا لمـــا هـــو قـــادم. فجـــأة، انفـــتح البـــاب بعنـــف، وظهـــرت رقية بأنفاس متقطعة:

-أخـــي! أيـــن أنـــت؟ اســـتيقظت ولـــم أجـــد أحـــدا في المنزل، فقلقت عليكم.

أجابه أيوب بقلق:

-كنـــت مـــع جـــدي، أيـــن عمـــر؟ ألـــيس فـــي الداخل؟

هزت رأسها نافية:

-لا، رأيتـــه خارجـــا منـــذ قليـــل... ســـأذهب لرؤية زينب،ربما استيقظت.

مـــا إن اســـتدارت للخـــروج حتـــى دوى صـــوت انفجـــار رهيـــب هززالمكان،ارتجفـــت قـــدماها، وتســـارعت دقـــات قلبهـــا، ثـــم هرعـــت إلـــى الخـــارج مـــذعورة. وحـــين

وصـــلت، وجـــدت بيـــتهم قـــد تهـــاوى تحـــت القصـــف، جدرانـــه تحطمـــت، وأشـــلاء الركـــام متنـــاثرة فـــي كـــل زاويـــة. وقفـــت للحظـــات عـــاجزة عـــن التصـــديق، ثـــم انطلقـــت صـــرخة مدوية من أعماقها:

-زينب! أختي استشهدت!

هـــرع أيـــوب وجـــده وعمـــر إلـــى حيـــث كـــان صـــــوتها، ووجـــــدوها منهـــــارة، تبكـــــي وتصـــرخ بجنـــون. لـــم يكـــن أيـــوب مســـتعدا لاســـتيعاب الكارثـــة، فأخـــذ يحفـــر بـــين الأنقـــاض بيديـــه العـــاريتين، يصـــرخ بداخلـــه:لا، لا يمكـــن أن تمـــوت... هـــي أمانـــة أبـــي وأمـــي لـــدي، لا يمكـــن أن أفقدها!

مـــرت الأيـــام، وبقـــي الأمـــل يحركـــه رغـــم الألـــم. أســـبوع كامـــل وأيـــوب لـــم يتوقـــف عـــن البحـــث، رغـــم أنـــه كـــان يـــدرك فـــي أعماقـــه أن المعجزة تكاد تكون مستحيلة.

أمـــا رقيـــة، فقـــد أضـــناها الحـــزن، وأصـــبح صـــمتها المطبـــق أشـــد وقعـــا مـــن صـــراخها. وعمـــر، ذلـــك الصـــغير، ظـــل متمســـكا بـــوهم أن زينـــب ســـتعود إليـــه يومـــا مـــا.وفي صـــباح بـــارد آخـــر، ســـمع صـــوت رجـــل ينـــادي مـــن بعيد:

-تعالوا بسرعة... أعتقد أنني وجدتها!

تجمـــع النـــاس، وانطلـــق أيـــوب راكضـــا،يدفع الجميـــع ليصـــل إلـــى مصـــدر الصـــوت. وحـــين وقـــف أمـــام المشـــهد، تجمـــد الـــدم فـــي عروقـــه. كانـــت زينـــب هنـــاك، لكنهـــا لـــم تكـــن

زينـــــب التـــــي يعرفهـــــا... وجههـــــا مشوه،وجســـدها هامـــد، لا أثـــر للحيـــاة فيـــه. لـــم يســـتطع تصـــديق مـــا يـــرى، فانـــدفعت صرخته ممزقة السكون:

-يـــا رب، لقـــد ابتليتنـــي كثيـــرا، أرجـــوك لا تبتلنـــي بفقـــدانها... الحمـــد لله، الحمـــد لله، سأصبر كما صبر نبيك أيوب

لكـــن القـــدر لـــم يتـــرك لهـــم وقتـــا للحزن،فســـقطت رقيـــة مغشـــيا عليها،وأصـــاب الجـــد ســـكتة قلبيـــة، بينمـــا بقـــي عمـــر واقفـــا، مصـــدوما، غيـــر قـــادر علـــى إدراك حجـــم المصـــيبة.بعد أن ووريـــت زينـــب الثـــرى، خـــيم الحـــزن علـــى الجميع،وكـــأن جرعـــة جديـــدة مـــن الألـــم زرعـــت فـــي قلـــوبهم بعـــد ســـنوات مـــن فـــراق

والـديهم. ومـع ذلـك، لـم ينكسـر أيـوب، بـل ازداد تصـميمه علـى حمايـة مـن تبقـى مـن عائلته.

فيـا تـرى، مـا الأحـداث التـي ستكشـفها الأيـام المقبلـة؟ وهـل سـيظل أيـوب صـامدا أمام اختبارات القدر القاسية؟

فـي أحـد الأيـام، وبعـد مـرور عشـرين سـنة،وفي قلـب العاصـمة الكنديـة أوتـاوا، كانـت هنـاك شـركة ضـخمة تحظـى بشـهرة واسـعة فـي أرجـاء المدينـة، يقـف علـى رأسـها رجـل صـنع مـن اسـمه علامـة للقـوة والنجـاح؛ إنـه السـيد أيـوب، الـذي اسـتطاع أن يجعـل شـركته مـن بـين الأقـوى فـي البلاد.

فـــي ذلـــك الصـــباح البـــاكر، اســـتعد أيـــوب للـــذهاب إلـــى شـــركته كعادتـــه، يرتـــدي ثـــوب الثقـــة والجديـــة. كـــان منزلـــه فخمـــا أشـــبه بالقصـــر، واســـعا وجمـــيلا، تحـــيط بـــه حراســـة مشـــددة تعكـــس مكانتـــه الرفيعـــة. خـــرج مســـرعا، ركـــب ســـيارته الفـــاخرة،وانطلق بســـرعة ليـــدرك موعده،فقـــد تـــأخر هـــذا اليـــوم عـــن المعتاد.مـــا إن دخـــل إلـــى مبنـــى الشـــركة،حتى وقـــف جميـــع المـــوظفين احترامـــا لـــه، مشـــهد اعتـــاد عليـــه كـــل صـــباح، لكنـــه لـــم يلتفـــت إلـــيهم. ســـار بخطـــوات ثابتـــة نحـــو مكتبـــه، فيمـــا كانـــت ســـكرتيرته تتبعـــه بتـــردد واضـــح، وكأنهـــا تحـــاول العثـــور علـــى الكلمـــات المناســـبة

لتنقـــل لـــه خبـــرا مزعجـــا. وأخيـــرا، تجـــرأت وقالت بصوت خافت:

-ســـــيدي، اليـــــوم لـــــدينا ضـــــغط عمـــــل شـــــديد،لكن للأســـــف، معظـــــم المـــــوظفين غائبون.

توقـــف أيـــوب فجـــأة، واســـتدار نحوهـــا بعينـــين تشـــتعلان غضـــبا، ثـــم صـــاح بانفعال:

-اخرجـــي فـــورا! لا أريـــد أن أراك بجـــانبي أبدا!

ارتبكـــت الســـكرتيرة وغـــادرت بســـرعة، بينمـــا دخـــل أيـــوب إلـــى مكتبـــه وأغلـــق البـــاب خلفـــــه بقـــــوة،جلس علـــــى كرســـــيه الفخم،ووضـــع يديـــه علـــى رأســـه، ليجـــد نفســـه غارقـــا فـــي دوامـــة مـــن الـــذكريات

القديمـــة...ذكرى مؤلمـــة مـــن الماضـــي عـــاد بـــه الـــزمن إلـــى عشـــرين ســـنة مضـــت، إلـــى تلـــك الأيـــام التـــي غيـــرت مجـــرى حياتـــه بعـــد وفـــاة زينـــب، تلـــك الفاجعـــة التـــي قلبـــت كيانـــه رأســـا علـــى عقـــب. لـــم تكـــن زينـــب وحـــدها مـــن اختفـــت مـــن حياتـــه؛ رقيـــة أيضـــا فقـــدت،حاول جاهـــدا العثـــور عليهـــا، لكـــن دون جـــدوى.أما جـــده، فقـــد رحـــل عـــن هـــذه الـــدنيا بســـبب ســـكتة قلبيـــة، وعمـــر شـــقيقه الآخـــر، قـــرر أن يختفـــي بـــدوره ويبحـــث عـــن مســـتقبله فـــي مكـــان آخـــر، تاركـــا أيـــوب يواجه الضياع وحده.

كـــان التفكـــك قـــد ضـــرب عائلتـــه بقـــوة، فلـــم يعـــد هنـــاك رابـــط يجمعهـــم، ولـــم يجـــد أيـــوب يومـــا راحـــة منـــذ ذلـــك الحـــين. أصـــبح

الغضـــب رفيقـــه الـــدائم، وكـــان يفـــرغ شـــحناته الســـلبية فـــي العمـــل، غيـــر أنـــه كـــان ذكيـــا، يعـــرف كيـــف يوجـــه طاقتـــه نحـــو النجاح.لكنـــه اليـــوم، شـــعر بحاجـــة ماســـة إلـــى إجابـــات، إلـــى خـــيط يقـــوده إلـــى أختـــه رقيـــة، إلـــى مـــاض لـــم ينطفـــئ فـــي داخلـــه أبـــدا.خرج مـــن مكتبـــه مســـرعا، توجـــه إلـــى منـــزل عمـــه الـــذي لـــم يـــزره منـــذ ثـــلاث ســـنوات. عنـــدما وصـــل، تـــردد للحظـــة أمـــام البـــاب، فقـــد عـــاد بـــه شـــريط الـــذكريات إلـــى الأيـــام التـــي كـــان فيهـــا شـــابا صـــغيرا، حـــين جلبـــه عمـــه مـــن فلســـطين إلـــى كندا،محرضـــا إياه على السفر وبداية حياة جديدة.

طـــرق البـــاب بقـــوة، ففتحـــت لـــه الخادمة،رمقتـــه بدهشـــة واضـــحة قبـــل أن تقول بصوت متردد:

-أهلا بك، السيد أيوب... تفضل بالدخول.

لكنـــه لـــم يكـــن فـــي مـــزاج للترحيـــب أو المجاملات،فسألها بحدة:

-هل عمي في الداخل؟

أومـــأت بالإيجـــاب، فانـــدفع إلـــى الـــداخل كالإعصار.اســـتقبله عمـــه بفرحـــة حقيقيـــة، مرحبـــا بـــه بحـــرارة، لكـــن أيـــوب لـــم يكتـــرث لكلماتـــه، فقـــط انـــدفع مباشـــرة إلـــى صـــلب الموضوع:

-هـــل لـــديك أي أخبـــار عـــن رقيـــة؟ هـــل وجدت شيئا؟ أي أثر لها؟

لكـن الـرد جـاء صـادما، فقـد هـز العـم رأسـه بأسف قائلا:

-لا شـــيء... مـــا زالـــت مفقـــودة، ولـــم يظهـــر أي أثر لها.

عنـــدها انفجـــر أيـــوب غضـــبا، أخـــذ يصـــرخ متـــذمرا، عـــاجزا عـــن احتمـــال المزيـــد مـــن الضـــياع. لـــم يعـــد ذلـــك الشـــاب الصـــبور الـــذي عرفـــــه الجميـــــع، بـــــل أصـــــبح شخصـــــا متهورا،طائشـــــا، يحرقـــــه الشـــــوق والنـــــدم على الأيام التي مضت.فهل سيجد رقية؟

هـــل ســـتجمع الأقـــدار بـــين الأشـــقاء مـــن جديـــد؟ ومـــا هـــي الأســـرار التـــي تخفيهـــا هـــذه القصة الحزينة؟

*****

فـــي الصـــباح الباكر،كـــان أيـــوب جالســـا فـــي شـــــرفته الفخمـــــة، يحتســـــي قهوتـــــه المعتادة،لكنـــه شـــعر بشـــيء غريـــب فـــي الأجـــواء. الـــتقط هاتفـــه وتصـــفح التقـــارير اليوميـــة، فتجمـــدت أنفاســـه عنـــدما لاحـــظ أن زبـــائن شـــركته بـــدأوا فـــي التنـــاقص بشـــكل غير مبرر.

كيـــف يمكـــن أن يحـــدث هـــذا؟! لا يوجـــد أي تفسير منطقي!

ارتفـــع الأدرينـــالين فـــي جســـده، وقفـــز مـــن كرســـيه بعصـــبية، كـــأن بركانـــا قـــد انفجـــر داخلـــه. دفـــع البـــاب بقـــوة وخـــرج غاضـــبا مـــن قصـــره، ووجهـــه يكـــاد يشـــتعل، والبخـــار يكـــاد يتصـــاعد مـــن أذنيـــه، وعينـــاه تضـــيقان كذئب متحفز للانقضاض.

لـــم ينتظـــر الســـائق، بـــل ركـــب ســـيارته الفـــــاخرة بنفســـــــه، وأدار المحـــــــرك بانفعـــــال،وانطلق بســـــرعة جنونيـــــة نحـــــو شـــركته، غيـــر مكتـــرث بإشـــارات المـــرور أونظرات المارة.

عنـــــدما وصـــــل إلـــــى مبنـــــى الشـــــركة الشـــــاهق،ركن ســـــيارته بتهـــــور، وترجـــــل منها بخطوات سريعة.

لـــم يكـــد يعبـــر البوابـــة حتـــى وقعـــت عينـــاه علـــى شـــخص لـــم يكـــن يتوقـــع وجـــوده هناك... عمه.

وقـــف أيـــوب متفاجئـــا، ثـــم زادت نيـــران الغضـــب داخلـــه، فـــاقترب منـــه بحـــدة وقـــال بنبرة ممتلئة بالاستنكار:

-عمـــي! مـــاذا تفعـــل هنـــا؟ ألـــم أخبـــرك أن تبتعـــد عـــن حيـــاتي؟! لا أريـــد منـــك شـــيئا سوى العثور على رقية!

لكـن عمـه لـم يبـدُ متـأثرا بثورتـه، بـل ابتسـم بســخرية وقــال بنبــرة بــاردة، كأنــه كــان ينتظر هذه اللحظة:

-لا تـــنس أنـــه بفضـــلي وصـــلت إلـــى هـــذه المكانـــة، لـــولا مســـاعدتي لكنـــت الآن فـــي القـــدس، تعـــاني مثـــل غيـــرك... أو ربمـــا كنت ميتا تحت الأنقاض.

تشـــنج فـــك أيـــوب، وشـــعر بمـــرارة تجتـــاح حلقـــه. نظـــر إلـــى عمـــه نظـــرة تحمـــل خليطـــا مـــن الغضـــب والنـــدم، ثـــم قـــال بصـــوت خافـــت لكنه محمل بالحسرة:

-عمـــي... أتعلـــم؟ مـــا زلـــت نادمـــا حتـــى الآن علـــى مغـــادرتي لـــوطني... صـــحيح أننـــي أساعدهم، لكن الوطن يبقى الوطن.

لـــم يســـتطع تمالـــك نفســـه أكثـــر، فاســـتدار بســـرعة واندفع إلـــى قســـم المـــوظفين، حيـــث كـــان العمـــال يقفـــون فـــي قلـــق واضـــح. وقـــف أمـــامهم وألقـــى نظـــرة حـــادة، ثـــم ســـأل بصوت حازم:

-هـــل وجـــدتم أي شـــيء؟ مـــا ســـبب هـــذا الانخفاض المفاجئ في عدد الزبائن؟!

نظـــر العمـــال إلـــى بعضـــهم الـــبعض بتـــردد، ثم قال أحدهم بصوت متوتر:

-للأســـف... لا شـــيء واضـــح حتـــى الآن، كل الأمور تبدو طبيعية.

قـبض أيـوب علـى يديـه بقـوة حتـى كـاد يشعر بعظامه تتكسر،ثم صرخ غاضبا:

-أريـد تقريـرا مفصـلا خـلال سـاعات! لا أريد أعذارًا، أريد حقائق!

خـرج مسـرعا مـن الشـركة، وهـو يشـعر أن الأرض تضيق به.

قـاد سـيارته بـلا هـدف، حتـى وجـد نفسـه أمـام شـاطئ البحـر. ركـن السـيارة، وترجـل بخطـوات بطيئـة فـوق الرمـال البـاردة. كـان البحـر هادئـا، لكـن داخلـه كـان عاصـفة لا تهـدأ. وقـف يحـدق فـي الأفـق، ثـم بـدأت الـذكريات تجرفـه بعيدا...تـذكر تلـك الليلـة المشـؤومة، الليلـة التـي غـدر فيهـا بعمه،الليلـة التـي تفككـت فيهـا عائلته،الليلـة التـي اختفـى فيهـا عمـر، ولـم

يعـرف عنـه شـيئا حتـى الآن. هـل كـان كـل هـذا يسـتحق العنـاء؟ هـل كـان المـال والنجـاح أهـم مـن العائلـة؟عاد إلـى منزلـه مرهقـا، وكـأن العـالم كلـه فـوق كتفيـه. جلـس فـي غرفـة معتمـة، غيـر قـادر علـى التفكيـر بوضـوح. شـعر بضـيق فـي صـدره، وكأنـه يختنـق بذنوبـه وأخطائـه. لا يعلـم كيـف قادتـه قـدماه، لكنـه وجـد نفسـه فـي الحمـام، يتوضـأ بالمـاء البـارد، كأنـه يحـاول غسـل أعبائـه مـع كـل قطـرة تسـقط عـن يديـه. خـرج، بسـط سـجادة الصـلاة علـى الأرض، وسـجد طويلا...بـدأ يناجي ربـه، ويبكـي كطفـل صـغير، كـأن كـل تلـك القـوة التـي كـان يتظـاهر بهـا قـد انهـارت فـي لحظـة. رفـع يديـه للسـماء، متوسـلا أن

يجـــد طريقـــه، أن يجـــد الخـــلاص مـــن هـــذا العـــبء الثقيـــل الـــذي يســـحق روحـــه،على مـــدى الأيـــام التـــي مـــرت، أخـــذ أيـــوب يراقـــب شـــركته بقلـــق متزايـــد. كـــان يشـــعر بـــأن هنـــاك أمـــرا غريبـــا يحـــدث، شـــيئا غيـــر طبيعـــي يتســـلل بهـــدوء ليمـــتص روحـــه ويدمر عمله خطوة بخطوة.

فـــي البدايـــة، ظـــن أنـــه مجـــرد ركـــود اقتصـــادي عـــابر، ولكـــن مـــع اســـتمرار تراجـــع عـــدد زبائنـــه، بـــدأ الشـــك يتســـلل إلـــى عقلـــه كـــالأفعى التـــي تزحـــف فـــي الظلام،تبحـــث عـــن فريســـتها. لـــم يكـــن الأمـــر منطقيًـــا بالنســـبة لـــه، فهـــو يعـــرف تمامـــا أن خدماتـــه لـــم تتغيـــر، وأســـعاره لا تـــزال تنافســـية، لكـــن رغـــم ذلـــك، رأى العمـــلاء

ينسحبون واحدًا تلو الآخر، دون سبب واضح، وكأن هناك قوة خفية تسحبهم بعيدا عنه.لم يستطع أيوب تجاهل الأمر أكثر، فبدأ بالبحث عن السبب وراء هذا التراجع المخيف. قضى ليالي طويلة يتفحص حسابات الشركة، يراجع تقارير المبيعات، ويتحدث مع موظفيه بحثا عن أي خيط قد يقوده إلى الحقيقة.

ومع مرور الأيام، بدأ يربط الخيوط ببعضها، ليكتشف أمرا لم يكن في حسبانه أبداهناك عائلة يهودية تتحكم في زبائنه، تدير خيوط اللعبة من وراء الستار، تدفع العملاء بعيدا عنه بأساليب غير مفهومة،ولكن ما زاد الأمر غرابة هو شعوره بأن هناك لغزا أكبر مخفيا

خلـف هـذه المـؤامرة، سـرا غامضـا لـم يكـن قـادرا علـى كشـفه بعـد، لكنـه كـان واثقـا مـن أنـه موجـود، وأنـه يحتـاج فقـط إلـى البحـث بعمـق أكبـر.لم يكـن أيـوب مـن النـوع الـذي يقف مكتوف اليدين أمام الظلم.

كـان رجـلا صـلبا، لا يقبـل الهزيمـة بسـهولة. الغضـب الـذي تـراكم بداخلـه طـوال تلـك الأيـام تفجـر فجـأة، كبركـانٍ ظـل محتجـزا لسـنوات، والآن حـان وقـت انفجاره.

لـم يفكـر مـرتين، بـل توجـه مباشـرة إلـى مقـر تلـك العائلـة، اقـتحم المكـان بخطـوات ثابتة ونظرات مشتعلة بالحقد والغضب.

وقـف أمـام رب العائلـة، ذلـك الرجـل الـذي بـدا هادئـا وكأنـه يعلـم مسـبقا أن أيـوب

سـيأتي إليـه. لـم يهـتم أيـوب بـذلك، بـل صـرخ بصـوتٍ حمـل كـل مـا فـي داخلـه مـن غضـب، مـتهم إيـاه بأنـه السـبب فـي تـدمير عملـه، محـذرا إيـاه مـن العواقـب الوخيمـة التـي تنتظـره هـو وعائلتـه. ولكـن، علـى عكـس مـا توقـع، لـم يظهـر الرجـل أي علامـة علـى الخـوف أو التـوتر، بـل ظـل ينظـر إليـه بنظـرة بـاردة، ابتسـامة خفيفـة مرسـومة علـى زاويـة شـفتيه، وكأنـه يشاهد مسرحية هزلية:

-نحـن؟ لا علاقـة لنـا بمـا يحـدث لـك، ربمـا مشـكلتك تكمـن فـي مكـان آخـر، أيهـا السـيد أيوب.

كانـت كلماتـه مثـل الخنجـر الـذي انغـرس في صدر أيوب.

لـــم يكـــن الرجـــل يكـــذب، ولكـــن فـــي الوقـــت نفســـه، كـــان هنـــاك شـــيء خفـــي خلـــف كلماتـــه، شـــيء غيـــر مـــريح، وكأنهـــا رســـالة مبطنـــة تحمـــل معنـــى آخـــر لـــم يـــتمكن أيـــوب من فك شفرته بعد.

لـــم يصـــدق كلامـــه، ولـــم يكـــن ينـــوي التراجـــع. كـــان يعلـــم أن شـــيئا مـــا يحـــدث فـــي الخفـــاء، وأن هـــذه العائلـــة لهـــا يـــد فيمـــا يجـــري، حتـــى لـــو لـــم يعترفـــوا بـــذلك. لـــم يكـــن هنـــاك شـــيء يمنعـــه مـــن الانتقـــام، بـــل علـــى العكـــس، ازدادت رغبتـــه فـــي ذلـــك أكثـــر مـــن أي وقـــت مضـــى. لـــم يعـــد يـــرى ســـوى طريـــق واحـــد أمامـــه، طريـــق الانتقـــام، حتـــى لـــو اضـــطر لســـلكه وحـــده، دون رحمـــة أو تراجع.عنـــدها، بـــدأ أيـــوب بوضـــع خطتـــه.

قـــرر أن يبـــدأ بمراقبـــة العائلـــة عـــن كثـــب، أن يعـــرف كـــل تحركـــاتهم، أن يتســـلل إلـــى عـــالمهم المظلـــم ويكتشـــف أســـرارهم. لـــم يكـــن يعلـــم مـــا الـــذي ســـيجده، لكنـــه كـــان متأكـــدا مـــن شـــيء واحـــد فقـــط: لـــن يســـمح لهـــم بالنجـــاة بفعلـــتهم. ولكـــن، مـــع مـــرور الوقـــت، اكتشـــف شـــيئا لـــم يكـــن يتوقعـــه أبـــدا. وســـط هـــذه العائلـــة الغامضـــة، كانـــت هنـــاك فتـــاة تـــدعى ليلـــى، شـــابة جميلـــة تحمـــل ملامـــح هادئـــة، ولكـــن خلـــف هـــدوئها كـــان هنـــاك شـــيء أكثـــر خطـــورة. لـــم تكـــن مجـــرد فتـــاة عاديـــة، بـــل كانـــت عالمـــة فـــي مجـــال الأبحـــاث الصـــيدلانية، متخصصـــة فـــي اختـــراق العقـــارات والشـــركات. كانـــت تـــدير عمليـــات معقـــدة، تســـتهدف بهـــا منافســـيهم

وتسـقطهم واحـدا تلـو الآخـر. وعنـدما بـدأ أيـوب بالبحـث أكثـر، اكتشـف أن شـركته كانـت واحـدة مـن أهـدافها، وأن ليلـى نفسـها قـد تكـون العقـل المـدبر وراء خسـارته.كان اكتشـافه هـذا كالصـاعقة التـي ضـربت كيانـه. شـعر أن الأمـور بـدأت تتضـح أمامـه، وكـأن الضـباب الـذي كـان يحجب الرؤية قد بدأ ينقشع.

أصـبح لديـه هـدف جديـد، واضـح كالشـمس: ليلـى سـتكون أول ضـحاياه، وسـتكون البدايـة فـي طريـق انتقامـه الطويـل. ولكـن، مـا لـم يكـن يعلمـه أيـوب، هـو أن هـذه الفتـاة لـم تكـن سـهلة كمـا يظـن، بـل كانـت تمتلـك مـن الـذكاء والـدهاء مـا قـد يقلـب الطاولـة عليـه تماما.فمـا الـذي

تخفيه هذه العائلة حقا؟ وما هو سر ليلى؟ هل سيتمكن أيوب من الانتقام، أم أنه سيجد نفسه محاصرا في لعبة لم يفهم قوانينها بعد؟ وكيف ستنتهي هذه المواجهة بينه وبين ليلى؟

*****

بدأ أيوب رحلته نحو الانتقام بتركيز حاد، أشبه بمحقق يبحث عن ثغرة واحدة تكشف كل شيء. تحدث مع أحد يراقب ليلى من بعيد، يتبع خطواتها،يدرس تحركاتها، ويحلل كل قراراتها بدقة الجراح. حتى علم ايوب أنها العقل المدبر، وأن سقوطها يعني تدمير العائلة بأكملها. ولكن، كلما تعمق في مراقبتها، كلما زاد إعجابه

بذكائها،بقـــدرتها علـــى التلاعـــب بـــالأمور دون أن تتـــرك أثـــرا، وكأنهـــا تحيـــك خيـــوط لعبتهـــا فـــي الظـــل، دون أن يراهـــا أحـــد.كان يعـــرف أنـــه لا يســـتطيع مواجهتهـــا مباشـــرة،فهي ليســـت فقـــط ذكيـــة، بـــل محصـــنة أيضـــا، محاطـــة بأشـــخاص يحمونهـــا كأنهـــا كنـــز ثمـــين. لـــذلك، قـــرر الـــدخول مـــن بـــاب آخـــر، بـــابٍ لا يمكنهـــا توقعه.

أصـــبح أيـــوب كالصـــياد الـــذي يراقـــب فريســـته بصـــبر قاتـــل، يتحـــرك فـــي الظـــل،يجمع الخيـــوط، يراقـــب كـــل تفصـــيلة قـــد تقـــوده إلـــى انهيـــار عائلـــة ليلـــى. لكنـــه لـــم يكـــن يعلـــم أن هـــذه الرحلـــة ســـتأخذه إلـــى مكان لم يتخيله أبدا.

لـــم يكـــن هدفـــه مواجهـــة ليلـــى مباشـــرة، بـــل أراد ضـــربها فـــي صـــميم قوتهـــا، فـــي عالمهـــا الســـــري، حيـــث تضـــع خططهـــا وتحـــرك شـــركتها كـــدمى الشـــطرنج. بـــدأ بالبحـــث عـــن نقطـــة ضـــعف، عـــن شـــخص مـــن الـــداخل يمكنـــه اســـتغلاله. لـــم يكـــن مـــن الســـهل اختـــراق دائرتهـــا، فكـــل مـــن يعمـــل معهـــا كـــان شـــديد الـــولاء، لكـــن أيـــوب لـــم يكـــن مـــن النـــوع الـــذي يستســـلم بسهولة.اســـتغل علاقاتـــه القديمـــة، اســـتخدم نفـــوذه، حتـــى وصـــل إلـــى أحـــد موظفيهـــا، رجـــل بســـيط يعمـــل فـــي قســـم الأرشـــيف، لـــم يكـــن منخرطـــا فـــي أعمالهـــا الكبـــرى، لكنـــه كـــان كافيـــا ليكـــون ثغـــرة. عبـــره، بـــدأ أيـــوب يحصـــل علـــى تقـــارير داخليـــة، صـــفقات، رســـائل

بريديـــة، كـــل شـــيء كـــان يوضـــع أمامـــه كقطـــع اللغـــز، حتـــى بـــدأ أخيـــرا فـــي رؤيـــة الصـــورة الكاملـــة:ليلى لـــم تكـــن تعمـــل بمفردهـــا، كانـــت مجـــرد جـــزء مـــن شـــبكة أكبـــر، تـــدير عمليـــات معقـــدة فـــي الخفـــاء، تتلاعـــب بالســـوق بـــذكاء يحســـد عليـــه. لـــم تكـــن فقـــط تســـتهدف شـــركته، بـــل كانـــت تضـــعف منافســـين آخـــرين، خطـــوة بخطـــوة،حتى تصـــبح شـــركتهم العائليـــة فـــي القمـــة بـــلا منـــازع.لكن شـــيئا واحـــدا لـــم يكـــن منطقيـــا بالنســـبة لـــه... لمـــاذا اســـتهدفت شـــركته بالتحديـــد؟ لمـــاذا لـــم يكـــن مجـــرد ضـــحية عـــابرة، بـــل بـــدا الأمـــر كمـــا لـــو كـــان مخططـــا لـــه منـــذ البداية؟اســـتمر أيـــوب فـــي

البحث حتى وجد ما قلب كيانه رأسا على عقب.

في إحدى الوثائق القديمة، وجد اسما مألوفا... اسم عمه. كان مذكورا ضمن معاملات قديمة، كشريك سابق مع والد ليلى، قبل أن تحدث قطيعة بينهما لسبب مجهول. كان الأمر بمثابة صفعة، لم يكن يتوقع وجود رابط بين عمه وعائلة ليلى، لكن الوثائق لم تكن تكذب.أدرك حينها أن انتقامه لم يكن مجرد لعبة بين رجلين في السوق، بل كان جزءا من صراع قديم.ازدادت شهيته للحقيقة، قرر أن يبحث في ماضي عمه ، ذهب إلى خادمة عمه ، سألها عن شراكة عمة

القديمـــة، عـــن الرجـــل الـــذي أصـــبح عـــدوه اليوم. تهربت من الإجابة.

لـــم يـــرد أيـــوب أن يثقـــل علـــى الخادمـــة بأســـئلته، فقـــرر البحـــث بنفســـه عـــن غايـــة عمـــه فـــي هـــذا الأمـــر. فـــي صـــباح اليـــوم التـــالي، بـــدأ فـــي فحـــص كـــل التســـجيلات والوثـــائق التـــي كـــان يخفيهـــا عمـــه. كـــان يتوقـــع أن يجـــد ســـرا دفينـــا، ورقـــة قديمـــة،أوحتى رســـالة تكشـــف شـــيئا، لكنـــه لـــم يجـــد ســـوى ملفـــات مبعثـــرة، وكـــأن أحـــدا تعمـــد إخفـــاء الحقيقـــة عنـــه. شـــعر بالإحبـــاط، وأســـند رأســـه إلـــى الكرســـي، بينمـــا كـــان عقله يعمل بأقصى طاقته.

وفجـــأة، رن هاتفـــه معلنـــا وصـــول رســـالة مجهولة:

-إذا كنـــت تريـــد معرفـــة الحقيقـــة كاملـــة،تعال إلى هذا العنوان.

حـــدق أيـــوب فـــي الشاشـــة، وأعـــاد قـــراءة الكلمـــات أكثـــر مـــن مـــرة. شـــعر أن قلبـــه ينـــبض بعنـــف، وتســـاؤلات عـــدة ضـــربت رأســـه: مـــن يكـــون هـــذا الشـــخص؟ كيـــف حصـــل علـــى رقمـــي؟ أي حقيقـــة يتحـــدث عنهـــا؟ وهـــل لهـــذا علاقـــة بعمـــي؟لم يتـــردد طـــويلا. نهـــض بســـرعة، الـــتقط مفـــاتيح ســـيارته، وانطلـــق مســـرعا نحـــو العنـــوان المرفـــق فـــي الرســـالة. الطريـــق كـــان مظلمـــا،والهواء البـــارد يتســـلل عبـــر نافذتـــه المفتوحـــة، يزيـــد مـــن شـــعوره بالترقـــب. عنـــدما وصـــل إلـــى المكـــان، كـــان مبنـــى مهجـــورا علـــى أطـــراف المدينـــة، تحـــيط بـــه

الأشـــجار الكثيفـــة والظـــلال الغامضـــة.ترجل مـــن الســـيارة بحـــذر، ونظـــر حولـــه. فـــي الظـــلام، ظهـــرت لـــه ملامـــح رجـــل يقـــف عنـــد المـــدخل. كـــان يرتـــدي معطفـــا طويلا،وعينـــاه تعكســـان بـــرودا غريبـــا. بـــدا وكأنـــه شـــخص معتـــاد علـــى المواقـــف الخطرة،شـــخص يعـــرف أكثـــر ممـــا ينبغي.تقـــدم الرجـــل نحـــوه بخطـــوات ثابتـــة، ثـــم قـــال بصـــوت مـــنخفض لكنه محمل بالثقة:

-أعلـــم أنـــك تتســـاءل مـــن أكـــون، لكـــن لا تقلق، أنا صديق، ولست عدوا.

أراد أيـــوب مقاطعتـــه، لكـــن الرجـــل رفـــع يـــده ليمنعـــه مـــن الكـــلام، ثـــم تابع:كـــل مـــا تبحـــث عنـــه ســـتعرفه بنفســـك... فقـــط عليـــك أن تلاحـــق الحقيقـــة بنفســـك.في تلـــك

اللحظة،شـــعر أيـــوب بقشـــعريرة تســـري فـــي جسده.

هـــل كـــان هـــذا الرجـــل صـــادقا؟ هـــل كـــان يقـــوده إلـــى الحقيقـــة، أم إلـــى فـــخ مجهـــول؟ ولمـــاذا تحـــدث وكأنـــه يعـــرف كـــل شـــيء عـــن حياتـــه؟في عقلـــه، بـــدأت ذكريـــات قديمـــة تعـــود، مشـــاهد مشوشـــة مـــن طفولتـــه، أصـــوات غامضـــة، ووميـــض مـــن ليلـــة مظلمـــة قبـــل عشـــرين عامـــا... هـــل يمكـــن أن تكـــون الحقيقـــة التـــي يبحـــث عنهـــا مرتبطـــة بذلك الماضي المنسي؟

*****

فـــي قريـــة صـــغيرة تقـــع فـــي شـــرق كنـــدا، كـــان هنـــاك طبيـــب يـــدعى عمـــر. عـــاش حيـــاة هادئـــة وســـط طبيعـــة القريـــة الهادئـــة، حيـــث

أســـس عائلـــة صـــغيرة مـــع زوجتـــه ورزق بـــابنتين جميلتـــين. كـــان الجميـــع يعرفونـــه فـــي القريـــة، فهـــو الطبيـــب الوحيـــد الـــذي يعتمـــد عليـــه أهـــل البلـــدة فـــي علاجهـــم، وكـــان يعتبـــر جـــزءا لا يتجـــزأ مـــن مجـــتمعهم الصـــغير.لكن فـــي إحـــدى الليـــالي، تلقـــى عمـــر أمـــرا رســـميا بالانتقـــال إلـــى شـــمال كنـــدا، حيـــث كـــان ينتظـــره عمـــل جديـــد فـــي منطقـــة نائيـــة، قاســـية المنـــاخ، مليئـــة بـــالثلوج والصـــقيع. لـــم يكـــن يتوقـــع أن تتغيـــر حياتـــه بهـــذه الســـرعة، ولـــم يكـــن يعلـــم شـــيئا عـــن حالـــة إخوتـــه . لا يعلـــم أن شـــقيقه أيـــوب يعـــيش فـــي الشـــمال، اســـتيقظ عمـــر فـــي صـــباح اليـــوم التـــالي مبكـــرا، متـــوترا ومـــثقلا بـــالهموم. بـــدأ فـــي تجهيـــز

حقيبته،واضـــعا فيهـــا بعـــض الملابـــس الثقيلـــة، أدواتـــه الطبيـــة، وأوراقـــه الرســمية. ألقــى نظــرة أخيــرة علــى منزلــه، حيـــث كانـــت زوجتـــه تســـتعد لوداعـــه، وابنتــاه تنظــران إليــه بعيــون مليئــة بــالحزن والقلــق. لــم يكــن مــن الســهل عليــه تــركهم، لكنـــه كـــان يعلـــم أن الواجـــب يناديـــه.انطلقت رحلتـــه الطويلـــة فـــي شـــاحنة صـــغيرة عبـــر الطـــرق المتجمـــدة،حيث كانـــت الريـــاح العاصـــفة تهـــب بقـــوة، والثلـــوج تغطـــي كـــل شـــيء مـــن حولـــه. كـــان الطريـــق وعـــرا ومتعبـــا، لكنـــه لـــم يكـــن يملـــك خيـــارا ســـوى الاســـتمرار. كلمـــا اقتـــرب مـــن وجهتـــه، زادت مشـــاعره اضـــطرابا، فهـــو لا يعلـــم مـــا الـــذي ينتظـــره هنـــاك، ولا كيـــف ســـتكون

حياتــه الجديــدة فــي هــذا المكــان البعيــد.كان يعلــم فقــط أن هــذه الرحلــة قــد تحمــل لــه مفاجآت لم يكن يتوقعها...

وصــل عمــر إلــى القريــة بعــد رحلــة شــاقة حيــث أنهكــه الســفر وأثقــل جســده التعــب لكنــه كــان يعلــم أن هــذا العنــاء لا يقــارن بالمشــاعر التــي اجتاحتــه بمجــرد أن وطئــت قــدماه هــذه الأرض كانــت القريــة كمــا هــي فــي ذاكرتــه لكنهــا بــدت أكثــر هــدوءا كــأن الــزمن قــد ألقــى بظلالــه عليهــا دون تــردد توجــه مباشــرة إلــى الفنــدق راغبــا فــي الحصــول علــى بعــض الراحــة لكــن عقلــه أبــى أن يمنحــه ذلــك فبمجــرد أن اســتلقى علــى الســرير بــدأت الــذكريات القديمــة تتــدفق إلــى ذهنــه مــرت عشــرون ســنة منــذ

غـــادر هـــذه القريـــة عشـــرون ســـنة وهـــو يحمـــل فـــي قلبـــه صـــورا لـــم تمحهـــا الأيـــام ابتســـم لنفســـه وهـــو يهمـــس يـــا تـــرى هـــل تغيـــروا هـــل كبـــرت رقيـــة لكـــن ســـرعان مـــا تحولـــت ابتســـامته إلـــى حـــزن عميـــق إذ تـــذكر زينـــب شـــقيقته التـــي لطالمـــا كانـــت الســـند والملجـــأ لـــه فـــي صـــغره لـــم يســـتطع منـــع دموعـــه مـــن الانهمـــار فقـــد كـــان قلبـــه يعتصـــر ألمـــا واشـــتياقا تـــرى كيـــف مضـــت بهـــا الأيـــام هـــل لا تـــزال تتـــذكره كمـــا يتـــذكرها فـــي غمـــرة مشـــاعره قطـــع صـــوت رنـــين هاتفـــه أفكـــاره المتشـــابكة نظـــر إلـــى الشاشـــة فـــرأى اســـم زوجتـــه يضـــيء عليهـــا ضـــغط علـــى زر الإجابـــة لكنـــه تفاجـــأ بصـــوت طفـــولي يهتـــف بلهفـــة أبـــي متـــى تعـــود

اشـتقت إليـك كثيـرا لـم يسـتطع عمـر منـع نفسـه مـن الابتسـام فـابتلع حزنـه وأجـاب بصـوت دافـئ قريبـا يـا ولـدي انتظرنـي فقـط شـعر بسـعادة غـامرة وهـو يسـمع فرحـة ابنـه ثـم تحـدث مـع زوجتـه لبضـع دقـائق أوصـاها خلالهـا بالاهتمـام بنفسـها وبالأطفـال قبـل أن ينهـي المكالمـة ويغـط فـي نـوم عميـق مستسـلما للإرهـاق الـذي تمكـن منـه مـع أول خيـوط الشـمس التـي تسـللت مـن النافـذة ومـع زقزقـة العصـافير التـي بـدت وكأنهـا تغنـي لنهـار جديـد اسـتيقظ عمـر مفعمـا بالنشـاط كـان اليـوم مختلفـا فهـو علـى موعـد مـع أول يـوم عمـل لـه كطبيـب فـي المستشـفى المحلـي المكـان الـذي طالمـا حلـم بـه عنـدما كـان صـغيرا

ارتـــدى معطفـــه الأبـــيض بشـــغف ثـــم خـــرج متوجهـــا إلـــى المستشـــفى لكنـــه لـــم يكـــن يـــدرك أن هـــذا اليـــوم ســـيحمل لـــه مفاجـــآت غيـــر متوقعـــة كـــان المرضـــى يتوافـــدون وعمـــر يتعامـــل معهـــم بروحـــه الطيبـــة وابتســـامته الصـــادقة لكـــن قلبـــه كـــان يخفـــق بقـــوة كـــان يشـــعر أن شـــيئا مـــا ســـيحدث أن لحظـــة طـــال انتظارهـــا تقتـــرب فهـــل ســـتجمعه الأيـــام بأختـــه زينـــب وهـــل ســـتظل رقيـــة كمـــا كـــان يتـــذكرها والأهـــم مـــن ذلـــك مـــا الأســـرار التـــي تخبئهـــا هـــذه القريـــة فـــي طياتهـــا كـــل ذلـــك ستكشـــفه الأحـــداث القادمـــة التـــي قـــد تحمل مفاجآت لم تكن في الحسبان.

كـــان ذلـــك الجاســـوس يـــزود ايـــوب بكـــل المعلومـــات التـــي يحتاجهـــا ويســـاعده فـــي

كشـــف خبايـــا الأمـــور دون أن يثيـــر الشـــبهات أو يلفـــت الانتبـــاه كـــان يعمـــل فـــي الخفـــاء ويتحـــرك بحـــذر حتـــى لا يكتشـــف امـــره لكـــن فـــي يـــوم مـــن الأيـــام وبينمـــا كـــان ايـــوب يتلقـــى منـــه معلومـــات جديـــدة اكتشـــف امـــرا صـــادما لـــم يكـــن فـــي حســـبانه لقـــد علـــم أن عمـــه متـــورط فـــي جريمـــة مـــع تلـــك العائلـــة اليهوديـــة لكنـــه لـــم يســـتطع معرفـــة ماهيـــة الجريمـــة أو تفاصـــيلها وهـــذا مـــا زاد مـــن فضـــوله ورغبتـــه فـــي كشـــف الحقيقـــة كاملـــة ظـــل أيـــوب يحـــاول البحـــث عـــن أي دليـــل يقـــوده لمعرفـــة مـــا فعلـــه عمـــه لكـــن الأمـــر لـــم يكـــن بهـــذه الســـهولة فكـــل الخيـــوط كانـــت متشـــابكة والأســـرار مدفونـــة فـــي أعمـــاق الظـــلام لـــم يـــدم الأمـــر طـــويلا حتـــى

وصـل الخبـر إلـى عمـه الـذي شـعر بـالخطر وأدرك أن ايـــوب يقتـــرب مـــن اكتشـــاف السـر الكبيـر لـم يكـن أمامـه سـوى اتخـاذ قـرار حاسـم فـأمر رجالـه بقتـل ايـوب قبـل أن يـتمكن مـن كشـف الحقيقـة التـي يخفيهـا عـن الجميـع كـان الوضـع يـزداد تعقيـدا والخطـر يحـيط بـأيوب مـن كـل جانـب وبينمـا كـان يفكـر فـي خطواتـه التاليـة تلقـى اتصـالا غامضـا مـن ذلـك الرجـل المجهـول الـذي كـان يمـده بالمعلومـات طلـب منـه اللقـاء علـى وجـه السـرعة وأخبـره أن هنـاك أمـرا فـي غايـة الأهميـة يجـب أن يطلعـه عليـه لـم يتـردد ايـوب لحظـة واحـدة شـعر أن هـذا اللقـاء قـد يكـون مفتـاح اللغـز الـذي يبحـث عنـه فأسـرع إلـى المكـان

المتفـق عليـه وهـو فـي ذهنـه ألـف سـؤال وسـؤال تـرى مـا الأمـر الخطيـر الـذي يريـد إخبـاره بـه وهـل سـيقترب أكثـر مـن الحقيقـة أم أن هـذا اللقـاء سـيكون فخـا لـم يكـن يعلـم أن الأحـداث سـتتغير بشـكل غيـر متوقـع عنـدما وصـل إلـى مكـان اللقـاء نظـر حولـه بحـذر كانـت الأجـواء مشـحونة بـالتوتر والقلـق انتظـر حتـى ظهـر الرجـل الغـامض اقتـرب منـه ليبـدأ الحـديث لكـن فجـأة اخترقـت رصاصـة جسـده قبـل أن يـتمكن الرجـل مـن قـول أي شـيء شـعر أيـوب بـآلام مبرحـة وسـقط علـى الأرض فيمـا أصـيب الرجـل المجهـول بالصـدمة لـم يكـن هـذا مـا خطـط لـه لـم يكـن يعلـم أن هنـاك مـن يراقبهمـا ومنـع الحقيقـة مـن

الظهـور لكـن رغـم الصـدمة لـم يتـردد فـي محاولـة إنقـاذ ايـوب فحملـه مسـرعا إلـى المستشـفى كانـت لحظـات حرجـة والوقـت يمـر بسـرعة لـم يكـن أحـد يعلـم إن كـان ايـوب سـينجو مـن هـذه المحنـة أم لا وهنـا تبـرز المفاجـأة الكبـرى هـل سـينجو ايـوب ويكتشـف الحقيقـة وهـل سـيجمعه القـدر مجـددا بعمـر أم أن القـدر يخبـئ لـه مفاجآت أخرى.

عنـدما رأى الرجـل الرصاصـة فـي يـد أيـوب، ارتبـك وسـحبها بسـرعة، ثـم حملـه إلـى المستشـفى وهـو قلـق وغاضـب. بعـد دخـول أيـوب إلـى المستشـفى، انتشـر الأطبـاء والممرضـون حولـه، محـاولين إسـعافه. كانـت الأضـواء البيضـاء تعكـس

وجـــوههم المتـــوترة، وأصـــوات الأجهـــزة تصـــدر طنينـــا خافتـــا. وســـط هـــذه اللحظـــات العصـــيبة، ظهـــر عمـــر بيـــنهم، متقـــدما بـــبطء، وكـــأن الـــزمن توقـــف. التقـــت عيونـــه بعينـــي أيـــوب، فتجمـــدت اللحظـــة. تفاجـــأ أن أخـــاه أمامـــه، ظـــن أنـــه يتخيـــل. الـــدموع خـــذلتهما، تســـاقطت علـــى وجنتيهمـــا دون إذن، تعبيـــرا عـــن الاشـــتياق والألـــم والســـنوات الطويلـــة التـــي فرقتهمـــا. لـــم يكـــن هنـــاك حاجـــة للكلمـــات فـــي البدايـــة، فقـــد تكلمـــت نظراتهمـــا، واحتضـــنا بعضـــهما بحـــرارة، فـــي عنـــاق حمـــل ثقـــل الـــذكريات والفراق.

عمـــر، بصـــوت متهـــدج بـــين البكـــاء والفـــرح، قال:

-أيوب، أخي، هل هذا حقيقي؟

أيـــوب، رغـــم ضـــعفه، أمســـك بيـــد أخيـــه بقـــوة، وكأنـــه يخشـــى أن يكـــون هـــذا مجـــرد وهم:

-أيـــن كنـــت يـــا عمـــر؟ كيـــف اســـتطعت الغيـــاب عني كل هذه السنوات؟

مـــــرت دقـــــائق بينهمـــــا، وهمـــــا يتبـــــادلان الكـــــلام، محـــــاولين ســـــد فجـــــوة الـــــزمن التـــــي صـــــنعتها الحيـــــاة القاســـــية. ولكـــــن لـــــم يكـــــن هنـــــاك متســـــع كبيـــــر للغـــــرق فـــــي العواطـــــف، فقد طرقت أبواب الغرفة مفاجأة جديدة.

دخـــل شـــخص غـــامض إلـــى الغرفـــة، وجهـــه نصـــف مخفـــي بقبعتـــه، ونظـــر إلـــى أيـــوب بحدة، قبل أن يقول بصوت واثق:

-يجب فتح تحقيق في هذا الأمر، لا يمكن أن نترك الجناة يفلتون بهذه السهولة.

رفع أيوب رأسه نحوه، متسائلا:

-ومن أنت حتى تتحدث بهذه الثقة؟

ابتسم الرجل ابتسامة خفيفة، وكشف عن جزء من ملامحه:

أنا شخص يساعد من يحتاجون للمساعدة، ولدي أخت تعمل في سلك المحاماة، محامية بارعة لم تخسر قضية واحدة، إنها هديل

شعر أيوب بأن الأمل بدأ يشق طريقه وسط ظلام قصته، ووافق على مقابلة المحامية هديل لترتيب الأمور. خرج مع عمر من المستشفى، متجها إلى منزله،ليتبادلا الحديث بعد طول

فراق.سـأل عمـر عـن رقيـة، فأجابـه أيـوب بحزن:

-فقـدناها، لا أعلـم هـل هـي حيـة أم ميتـة، مـدة عشـرين عامـا وأنـا أبحـث عنهـا. حـزن عمـر كثيـرا مـن هـذا الخبـر، ثـم تلقـى أيـوب اتصـالا مـن رقـم مجهـول. تعجـب قلـيلا، متسائلا:

-من يتصل بي؟

أجـاب علـى الهـاتف، فسـمع صـوت فتـاة رقيـق، أحـس براحـة مـن ذلـك الصـوت، قائلة:

-هـل معـي السـيد أيـوب؟ فـي الواقـع، أنـا المحاميـة هـديل، أخـت ذلـك الشـخص الـذي ساعدك.

تـــذكر أيـــوب مـــا قالـــه ذلـــك الرجـــل الغـــامض،وأعلن عـــن لقـــاء بينهمـــا فـــي أحـــد المقاهي.أمـــا عـــم أيـــوب، فقـــد كـــان غاضـــبا جـــدا، لـــم يتقبـــل كيـــف نجـــا أيـــوب مـــن تلـــك الرصاصة. ازداد غضبه، وقال:

-يجـــب أن أفعـــل شـــيئا قبـــل أن يـــدمر حيـــاتي إذا عرف الحقيقة.

فـــي صـــباح اليـــوم التـــالي، اســـتيقظ أيـــوب مبكـــرا، رغـــم إرهاقـــه، شـــعر بشـــيء داخلـــه يدفعـــه للقـــاء تلـــك المحاميـــة. ارتـــدى ملابســـه بســـرعة، واتجـــه إلـــى المقهـــى المحـــدد. عنـــدما دخـــل، كانـــت الطـــاولات شـــبه فارغـــة، وضـــوء الشـــمس النـــاعم يتســـلل عبـــر الزجـــاج، لـــيعكس دفئـــه علـــى الأرضـــية. جلـــس فـــي زاويـــة

المقهى،منتظـــرا بصـــمت، تتـــراقص فـــي ذهنـــه الأســـئلة. مـــن هـــي هـــديل؟ هـــل ســـتكون قـــادرة علـــى مســـاعدته؟بعد دقـــائق، دخلـــت امـــرأة شـــابة بثقـــة تامة،ترتـــدي معطفـــا أنيقـــا، وخطواتهـــا تحمـــل مـــن الحـــزم بقـــدر مـــا تحمـــل مـــن الرقـــي. عيناهـــا كانتـــا حـــادتين، وكأنهمـــا تســـتطيعان كشـــف كـــل الأســـرار بمجـــرد النظر.اقتربـــت منـــه بابتســـامة رســـمية، وقالـــت بصـــوت هـــادئ لكنه قوي:

-الســـلام علـــيكم يـــا ســـيد أيـــوب، أنـــا المحاميـــة هـــديل، أخبرنـــي أخـــي بكـــل شـــيء، لكنـــي أريـــد ســـماعه منـــك شخصـــيا، تفضـــل وتحدث.

نظـــر إليهـــا أيـــوب بعمـــق، ثـــم أخـــذ نفســـا عميقـــا، وبـــدأ يســـرد قصـــته منـــذ البداية،منـــذ أن كـــان فـــي فلســـطين، وكيـــف فرقتـــه الأيـــام عـــن عائلتـــه، وكيـــف فقـــد زينـــب، وكيـــف لا يـــزال يبحـــث عـــن رقيـــة منـــذ عشـــرين عامـــا. لكنـــه، لســـبب مـــا، لـــم يخبرهـــا عـــن العائلـــة اليهوديـــة، ولا عـــن ابنتهمـــا ليلى.مـــا ســـر ليلـــى؟ ومـــا الـــذي يخبئـــه القـــدر لهـــؤلاء الثلاثـــة؟ الريـــاح لـــم تهـــدأ بعـــد، والقصـــة لـــم تكشف كل خفاياها.

وبعـــد كشـــف الحقيقـــة التـــي حجبـــت عنـــه طـــويلا، تأكـــد أن عمـــه هـــو العقـــل المـــدبر وراء مقتـــل والديـــه. بمســـاعدة هـــديل، المحاميـــة التـــي وقفـــت إلـــى جانبـــه، اســـتطاع جمـــع الأدلـــة التـــي تثبـــت إدانتـــه.لكن رغـــم

ذلـــك، لـــم يكـــن هـــذا كافيـــا لإخمـــاد نيـــران غضـــبه. كـــان هنـــاك شـــخص آخـــر فـــي قائمـــة انتقامـــه، شـــخص لـــم يـــنس كيـــف ســـاهم فـــي دمار حياته... ليلى.

فـــي ليلـــة بـــاردة، جلســـت ليلـــى علـــى مكتبها،تحـــاول التركيـــز علـــى شاشـــة حاســـوبها، لكـــن التعـــب كـــان يـــنهش جســـدها. أمضـــت الليلـــة بأكملهـــا فـــي محاولـــة إدارة شـــركات والـــدها، فالعـــالم الـــذي تنتمـــي إليـــه لا يـــرحم المتكاســـلين.لكنها لـــم تكـــن تعلـــم أن العاصـــفة علـــى وشـــك أن تضـــربها بقوة.لحظـــة واحـــدة فقـــط... كانـــت كافيـــة لانهيـــار كـــل شـــيء.بلمح البصـــر، انخفضـــت جميـــع أرصـــدة الشـــركات، تهـــاوت

الحســـابات الماليـــة، وكـــأن شـــبحا عبـــث بالنظـــام وســـرق كـــل شـــيء دون أن يتـــرك أثـــرا. شـــعرت بالـــذهول، كـــأن الهـــواء قـــد اختفى من حولها:

-هذا مستحيل... كيف حدث هذا؟!

بأصـــــابع مرتجفـــــة، حاولـــــت اســـــتعادة البيانـــــات، لكـــــن كـــــل محاولاتهـــــا بـــــاءت بالفشـــــل. كانـــــت الأمـــــوال تتبخـــــر أمـــــام عينيهـــا، ولـــم تســـتطع فعـــل شـــيء لإيقـــاف ذلـــك،دون تفكيـــر، نهضـــت مـــن مقعـــدها، أمســـكت هاتفهـــا، واتصـــلت بوالـــدها. لـــم يكـــن لـــديها خيـــار آخـــر، لكنهـــا لـــم تكـــن تعلـــم أن هذا الاتصال سيغير حياتها للأبد.

-أبـــي! لقـــد حـــدث شـــيء فظيـــع... جميـــع حسابات الشركة انهارت!

كـــان الصـــمت فـــي الجهـــة الأخـــرى مرعبـــا. توقعـــــت أن يغضـــــب، أن يســـــألها عـــــن التفاصـــيل، لكنـــه حـــين تحـــدث أخيـــرا، كانـــت كلماته باردة كالثلج:

-أنت السبب، ليلى.

اتسعت عيناها بصدمة:

-ماذا؟! أنا؟!

لكـــن والـــدها لـــم يكـــن يســـتمع، بـــل انفجـــر غضـــبه عليهـــا كمـــا لـــم يفعـــل مـــن قبـــل. لـــم يكـــن يهـــتم بالخســـارة بقـــدر مـــا كـــان يهـــتم بســـمعته، بســـلطته، بمكانتـــه فـــي عـــالم الأعمـــال.وفي لحظـــة واحـــدة، تبـــدد كـــل الـــدلال الـــذي كانـــت تعـــيش فيـــه، وتحولـــت مـــن ابنـــة مدللـــة... إلـــى أســـيرة فـــي قبـــو مظلم.الأيـــام الســـوداءفي ذلـــك القبـــو، حيـــث

الظـــلام لا يتغيـــر، والوقـــت لا يمـــر، جلســـت ليلـــى علـــى الأرض، تشـــعر بجســـدها ينهـــار يومـــا بعـــد يـــوم. لـــم يكـــن هنـــاك طعـــام، لـــم يكـــن هنـــاك مـــاء، فقـــط ظـــلام وصـــمت قاتل.كـــان عقلهـــا يصـــرخ بأســـئلة لا تجـــد لهـــا إجابـــة:لماذا يفعـــل بـــي هـــذا؟ ألســـت ابنتـــه الوحيدة؟

لـــم تكـــن تعلـــم كـــم مـــن الأيـــام مـــرت عليهـــا هنـــاك، لكـــن الجـــوع والعطـــش جعـــلا كـــل شـــيء يبـــدو وكأنـــه أبديـــة مـــن العـــذاب.لكن فـــي يـــومٍ مـــا، ســـمعت صـــوت خطـــوات ثقيلـــة تقتـــرب. ارتجـــف جســـدها، وعنـــدما فـــتح البـــاب أخيـــرا، رأت والـــدها واقفـــا أمامهـــا.لأول مـــرة... شـــعرت بـــالخوف منـــه.لكن حـــين رأت تعـــابيره

الجامدة،شـــعرت بالأمـــل يتســـلل إلـــى قلبهـــا. ربمـــا قـــرر العفـــو عنهـــا؟ ربمـــا ســـيعيدها إلـــى حياتهـــــا الســـــابقة؟لكن كلماتـــــه التاليـــــة حطمت كل أملها:

-ســـأمنحك فرصـــة لاســـتعادة ثقتـــي، لكـــن عليك تنفيذ مهمة واحدة.

رفعـــت رأســـها بصـــعوبة، كانـــت مرهقـــة، بالكاد تستطيع التركيز.

-أي... مهمة؟

اقتـــرب منهـــا أكثـــر، صـــوته كـــان خافتـــا لكنـــه يحمل تهديدا واضحا:

-أريـــدك أن تـــذهبي إلـــى شـــركة أيـــوب... كجاسوسة.

-ماذا؟!

-ســـــتعملي هنـــــاك، ستكســـــبين ثقتـــــه، وستكتشـــفين مـــن المســـؤول عـــن تـــدمير شـــركاتنا.ابتلعت ريقهـــا بصـــعوبة، عقلهـــا يعمـــل بســـرعة. كانـــت تـــدرك أن هـــذا لـــيس طلبا،بل أمرا:

-سأفعل.

لكـن مـا لـم يعرفـه والـدها... هـو أن ليلـى لـم تكـن تنـوي مجـرد التجسـس. كانـت تنـوي الانتقام!

*****

اللقاء الأول

فـــي صـــباح اليـــوم التـــالي، ارتـــدت ليلـــى ملابـــس بســـيطة، تركـــت مجوهراتهـــا وســـيارتها الفـــاخرة، وخرجـــت كـــأي فتـــاة عاديـــة تبحـــث عـــن عمـــل. ركبـــت الحافلـــة، تحـــدق مـــن النافـــذة، لكـــن عقلهـــا كـــان مشغولا بشيء واحد:

-أيوب... سأجعلك تدفع الثمن.

عنـــدما وصـــلت إلـــى مقـــر الشـــركة، كـــان المبنـــى شـــامخا، أنيقـــا، يعكـــس القـــوة والانضـــباط. لا يشـــبه شـــركات والـــدها التـــي تعـــج بالفوضـــى.دخلت البهـــو بخطـــوات ثابتـــة، رغـــم أن قلبهـــا كـــان يخفـــق بجنـــون.

تقدمت إلى أحد الموظفين وسألته:

- أريد مقابلة المدير، إنه أمر مهم.

لكـــن قبـــل أن تكمـــل جملتهـــا، ســـمعت صـــوتا أنثويا قويا يقاطعها:

- هـــل تحتـــاجين إلـــى مســـاعدة؟ المـــدير غيـــر موجـــود حاليـــا، اســـتدارت ليلـــى بســـرعة، لتجـــد نفســـها أمـــام هـــديل، امـــرأة ذات حضور قوي ونظرات ثاقبة.

حاولـــت ليلـــى إخفـــاء توترهـــا، ابتســـمت بتكلف:

-أنـــا هنـــا مـــن أجـــل مقابلـــة عمـــل... فـــي الواقع، أحتاج إلى التحدث معه شخصيا.

لـــم تصـــدقها هـــديل تمامـــا، كانـــت تشـــعر بشـــيء غريـــب تجـــاه هـــذه الفتـــاة. لـــم تكـــن مثل أي فتاة أخرى رأتها من قبل:

-انتظـــري فـــي مكتـــب المـــدير، سيصـــل قريبا.

دخلـــــت ليلـــــى وجلســـــت، تتظـــــاهر بالهـــدوء،لكن داخلهـــا كـــان يعـــج بالفوضـــى. لـــم يمـــض وقـــت طويـــل حتـــى فـــتح الباب،ودخل أيوب.

توقفـــت أنفاســـها للحظـــة عنـــدما رأتـــه. كـــان مختلفـــا عمـــا تخيلتـــه. قـــوي، حـــازم، لكـــن فـــي عينيـــه ظـــل مـــن الألـــم والغموض.أمـــا أيوب،فمـــا إن وقعـــت عينـــاه علـــى ليلـــى، حتـــى شـــعر بشـــيء غريـــب، شـــيء لـــم يفهمـــه. كأنـــه يعرفهـــا منـــذ زمـــن، كأنهـــا ذكرى قديمة تجسدت أمامه.

للحظـــة، توقـــف الـــزمن بينهمـــا.لكن ليلـــى لـــم تســـمح لنفســـها بالضـــعف. نظـــرت إليـــه بثبات، وعقلها يهمس:

-لـــن تعـــرف أبـــدا مـــن أنـــا، أيـــوب... لكننـــي سأدمرك ببطء.

مـــاذا ســـيحدث بعـــد هـــذا اللقـــاء؟ هـــل ســـيتمكن أيـــوب مـــن كشـــف حقيقتهـــا قبـــل أن تطـــيح بـــه؟ أم أن لعبـــة الانتقـــام ســـتأخذ منحـــى غيـــر متوقع؟

*****

لـــم يكـــن وقـــع الحقيقـــة ســـهلا علـــى ليلـــى، فقـــد اكتشـــفت أن المحاميـــة هـــديل كانـــت الســـبب فـــي تراجـــع الأمـــوال التـــي حصـــلت عليهـــا. شـــعرت بالغضـــب، لكنهـــا لـــم تســـتطع مواجهتهـــا؛ فقـــد كانـــت هـــديل أقـــوى ممـــا توقعـــت، وأكثـــر حنكـــة فـــي التعامـــل مـــع الأمور.

كـــان عقلهـــا مزدحمـــا بالتســـاؤلات،وقلبها ينـــبض بعنـــف، وكـــأن أنفاســـها باتـــت ثقيلـــة مـــن وقـــع الصـــدمة.في ذلـــك اليـــوم، شـــعرت ليلـــى بصـــداع شـــديد، وكـــأن المســـامير تـــدق فـــي رأســـها بـــلا رحمـــة. أرادت أن تعـــود إلـــى المنـــزل لترتـــاح قلـــيلا، لعلهـــا تـــتمكن مـــن التفكيـــر بهـــدوء، لكـــن القـــدر كـــان يخبـــئ لهـــا أمـــرا آخـــر. وبينمـــا كانـــت تعبـــر الطريـــق، لـــم تنتبـــه للســـيارة المســـرعة القادمـــة نحوهـــا. فجـــأة، دوى صـــوت ارتطـــام قـــوي، تـــلاه صـــراخ النـــاس المـــذعورين، ثـــم ســـقطت علـــى الأرض بـــلا حراك.كانـــت تشـــعر بـــأن رأســـها يشـــتعل ألمـــا، والـــدماء الســـاخنة تنســـاب علـــى وجههـــا، بينمـــا كانـــت نظرتهـــا تبهـــت تـــدريجيا، وصـــوت النـــاس مـــن حولهـــا

بـــات وكأنـــه قـــادم مـــن عـــالم بعيـــد، متـــداخلا مـــع الصـــدى الـــذي يـــرن فـــي أذنيهـــا. لـــم تســـتطع تحريـــك جســـدها، فقـــد أصـــبح ثقـــيلا للغاية، وكأن الحياة تنسحب منه ببطء.

-إنهـــا تنـــزف! أحـــدهم يتصـــل بالإســـعاف!

صـــرخ أحـــد المـــارة وهـــو يحـــاول إيقـــاف الســـيارات المـــارة، بينمـــا حـــاول آخـــرون إيقـــاف النزيـــف قـــدر الإمكـــان.في غضـــون دقـــائق، وصـــلت ســـيارة الإســـعاف، وانطلـــق المســـعفون بســـرعة نحوهـــا. رفعوهـــا بحـــرص علـــى النقالـــة، وأســـرعوا بهـــا نحـــو المستشـــفى، بينمـــا ومـــيض الأضـــواء الحمـــراء يـــنعكس علـــى الطرقات.عنـــد وصـــولها، تـــم نقلهـــا مباشـــرة إلـــى غرفـــة

العمليـــات، حيـــث اجتمـــع الأطبـــاء حولهـــا فـــي سباق مع الزمن.

-إنهـــا تفقـــد الكثيـــر مـــن الـــدم! نحتـــاج إلـــى متبرع على الفور!

صـــــرخ أحـــــد الأطبـــــاء، بينمـــــا حاولـــــت الممرضـــات التواصـــل مـــع ذويهـــا. لكـــن الـــرد كـــان صـــادما... والـــداها لـــم يكونـــا مهتمـــين بالأمر، وكأن حياتها لا تعني لهما شيئا.

وســـط هـــذه الأزمـــة، اضـــطر الطـــاقم الطبـــي للبحـــث عـــن شـــخص يمكنـــه التبـــرع لهـــا بالـــدم. وصـــلت الأخبـــار ســـريعا إلـــى مـــدير الشـــركة التـــي تعمـــل فيهـــا ليلـــى، فشـــعر بالصـــدمة، واتصـــل بأخيـــه عمـــر طالبـــا منـــه التـــدخل فـــورا. لـــم يتـــردد أيـــوب لحظـــة واحـــدة، وأســـرع إلـــى المستشـــفى، وبعـــد

إجـــراء الفحوصـــات اللازمـــة، تبـــرع لهـــا بالـــدم.لكن بينمـــا كـــان يراقبهـــا وهـــي راقـــدة بـــلا حـــراك، تســـاءل فـــي داخلـــه: كيـــف يمكـــن لعائلـــــة أن تتخلـــــى عـــــن ابنتهـــــا بهـــــذه الســـهولة؟ هـــل يعقـــل أن تكـــون وحيـــدة إلـــى هذا الحد؟

كـــان هنـــاك شـــيء غـــامض فـــي الأمر،شـــعور بعـــدم الاتـــزان، وكـــأن هنـــاك ســـرا مخفيـــا خلـــف هـــذه القصـــة.في تلـــك الأثنـــاء، لـــم تكـــن هـــديل بعيـــدة عـــن المشـــهد، فقـــد شـــعرت أن هنـــاك لغـــزا محيـــرا يحـــيط بليلـــى. بـــدأت بـــالتحري عنهـــا، ونبشـــت فـــي كـــل الوثـــائق والمعلومـــات المســـجلة عنهـــا فـــي الشـــركة. ولكـــن مـــا وجدتـــه كـــان صـــادما... كـــل المعلومـــات عـــن ليلـــى مـــزورة! كانـــت

الأوراق مليئـــة بالأكاذيـــب والتناقضـــات،مما جعـل هـديل تشـعر بـأن أيـوب قـد يكـون فـي خطـــر دون أن يـــدرك ذلـــك. لكنهـــا تـــرددت فـــي إخبـــاره؛ فقـد كانـت تعـرف أنـــه متهـور وغيـــر صـــبور، ولـــن يتعامـــل مـــع الأمـــر بحكمة.

مـــرت الأيـــام بســـرعة، وتعافـــت ليلـــى بعـــد العمليـــة. لكـــن ســـرعان مـــا بـــدأت الهمســـات تصـل إلـى أذنهـا بـأن هـديل تجمـع معلومـات عنهـــا. شـــعرت برعـــب حقيقـــي، فقـــد كانـــت تخشـــى أن يعـــرف والـــدها بـــالأمر، ممـــا قـــد يعـــرض حياتهـــا للخطـــر. لـــم يكـــن أمامهـــا خيـــار ســـوى الاعتـــراف للمحاميـــة بكـــل شـــيء، علـــى أمـــل أن تســـاعدها بطريقـــة ما.أمـــا أيـــوب، فمـــع مـــرور الوقـــت، بـــدأ

غضـــبه تجـــاه ليلـــى يتلاشـــى، وحـــل محلـــه شـــعور غريـــب لـــم يكـــن قـــادرا علـــى تفســـيره. ربمـــا كـــان التعـــاطف، وربمـــا كـــان شـــيئا آخـــر أعمـــق مـــن ذلـــك. كانـــت ليلـــى بالنســـبة لـــه فتـــاة غامضـــة، مكســـورة، تحمـــل فـــي داخلهـــا ألما أكبر مما يمكن للعين أن تراه.

وفـــي صـــباح أحـــد الأيـــام، قـــررت ليلـــى أن تواجـــه مخاوفها.غـــادرت المنـــزل الـــذي كانـــت تقـــيم فيـــه منـــذ خروجهـــا مـــن المستشـــفى، واتجهـــت نحـــو منـــزل هـــديل. كانـــت يـــداها متشـــابكتين بقـــوة، بينمـــا كانـــت تخطـــو نحـــو البـــاب بتـــردد. شـــعرت بـــالخوف يســـيطر عليهـــا، لكـــن لـــم يكـــن هنـــاك مجـــال للتراجـــع الآن.طرقـــت البـــاب بخفـــة، وبعـــد

لحظـــات، فـــتح البـــاب، وظهـــرت هـــديل بوجهها الهادئ وابتسامتها الواثقة:

-أهلا ليلى، تفضلي بالدخول.

جلســت ليلــى فــي مكانهــا وهــي تشــعر بتــوتر شـــديد، قلبهـــا كـــان يخفـــق بعنـــف، بينمـــا كانـــت تحـــدق فـــي كـــوب العصـــير البـــارد أمامهـــا دون أن تلمســـه. كانـــت تفكـــر فيمـــا ستقوله، لكنها لم تجد الكلمات المناسبة.

وفجـــأة، قطعـــت هـــديل الصـــمت بجملـــة صاعقة:

-أعلم أنك ابنة تلك العائلة اليهودية.

تجمـــدت ليلـــى فـــي مكانهـــا، واتســـعت عيناهـــا في ذهول، قبل أن تتمتم بارتباك:

-كيف... كيف عرفت؟

كانـــت تشـــعر وكـــأن العـــالم ينهـــار تحـــت قدميها.ابتسمت هديل، وقالت بهدوء:

-كنـــت أعلـــم أن هنـــاك ســـرا فـــي قصـــتك،لم تكـــن المعلومـــات عنـــك صـــحيحة أبـــدا. لكننـــي هنـــا لأســـاعدك، ولـــيس لإيـــذائك. أريـــد فقـــط أن أفهـــم... مـــا علاقتـــك بعائلتـــك؟ ولمـــاذا يعاملونك بهذه القسوة؟

تنهـــدت ليلـــى بعمـــق، ثـــم نظـــرت إلـــى هـــديل بعينين،ممتلئتـــين بـــالخوف والشـــكوك، قبـــل أن تقول بصوت خافت:

-ســـأخبرك بكـــل شـــيء، لكـــن عليـــك أن تعديني بأن لا تخبري أحدا...

مـــا الســـر الـــذي تخفيـــه ليلـــى؟ ولمـــاذا تخـــاف من والدها؟

هـــل ســـتتمكن هـــديل مـــن كشـــف الحقيقـــة؟

وما الذي يخبئه القدر لها؟

ترقبوا الحلقات القادمة!

*****

رحلة البحث عن الحقيقة

كانـــت هـــديل قـــد أمضـــت وقتـــا طـــويلا تبحـــث عـــن دليـــل يؤكـــد شـــكوكها، لكـــن كـــل محاولاتهـــا بـــاءت بالفشـــل. ورغـــم ذلـــك، لـــم تتوقـــف مشـــاعرها عـــن إخبارهـــا أن ليلـــى قـــد تكـــون هـــي رقيـــة، الفتـــاة التـــي يبحـــث عنهـــا أيـــوب منـــذ ســـنوات. لـــم يكـــن لـــديها دليـــل ملمـــوس، لكـــن الإحســـاس العميـــق بـــداخلها لـــم يكـــن ليخـــدعها.كانت بحاجـــة إلـــى إثبـــات علمـــي يقطـــع الشـــك بـــاليقين،ولم يكـــن أمامهـــا ســـوى تحليـــل الحمـــض النـــووي. ولكـــن كيـــف ستحصـــل علـــى العينـــات دون إثـــارة الريبـــة؟ فكـــرت فـــي الأمـــر طـــويلا، حتـــى قـــررت أن تبـــدأ بليلـــى أولا،كانـــت ليلـــى بـــدورها تعـــيش وســـط

غمـــوض يحـــيط بحياتهـــا. عنـــدما ســـألت والـــديها عـــن ســـبب عـــدم قـــدومهما لرؤيتهـــا، قـــدما لهـــا تبريـــرا بـــدا منطقيـــا، لكـــن إحساســـها الـــداخلي أخبرهـــا أن هنـــاك شـــيئا مـــا غيـــر صـــحيح. قـــالا لهـــا إنهمـــا كانـــا خـــارج الـــبلاد ولـــم يتمكنـــا مـــن العـــودة مبكـــرا، لكـــن كلمـــاتهم لـــم تقنعهـــا. كانـــت تشـــعر بأنهمـــا يخفيـــان شـــيئا عنهـــا، وهـــي لـــم تكـــن غافلـــة عـــن ذلـــك.لكن ليلـــى أيضـــا لـــم تكـــن صـــادقة تمامـــا معهمـــا، فقـــد كانـــت تخفـــي عـــنهم بحثهـــا المســـتمر عـــن أيـــوب، وتبحـــث عـــن أي معلومـــة قـــد تقودهـــا إليـــه، وكـــأن قلبهـــا كـــان يرشـــدها إلـــى الحقيقـــة دون أن تـــدرك الســـبب.في إحـــدى الليـــالي الهادئـــة، عنـــدما كـــان الجميـــع نـــائمين، دخلـــت هـــديل إلـــى

غرفـــة ليلـــى بخطـــوات حـــذرة. توجهـــت إلـــى ســـريرها، فوجـــدت بعـــض شـــعرها متنـــاثرا علـــى الوســـادة. جمعـــت منـــه بعـــض الشـــعيرات بحـــذر شـــديد، ثـــم قـــررت أخـــذ عينـــة أخـــرى مـــن لعابهـــا بطريقـــة لا تثيـــر شـــكوكها.لكن التحـــدي الأكبـــر كـــان فـــي الحصـــول علـــى عينـــة مـــن أيـــوب. فكـــرت فـــي عـــدة طـــرق، لكنهـــا أدركـــت أن الحـــل الأفضـــل هـــو إخبـــاره بـــالأمر مباشـــرة.في صـــباح اليـــوم التـــالي، وبعـــد الكثيـــر مـــن التردد،قـــررت هـــديل مواجهـــة أيـــوب بالحقيقـــة. وقفـــت أمامـــه وهـــي تشـــعر ببعض القلق، ثم قالت بصوت جاد:

-السـيد أيـوب، أريـد إخبـارك بـأمر مهـم.

ابتسم أيوب وهو يرد عليها ممازحا:

-كـــم مـــرة أخبرتـــك ألا تنـــاديني بالســـيد؟!

هيا، قولي لي ماذا هناك؟

تنفست هديل بعمق قبل أن تقول:

- فـــي الواقـــع، أعتقـــد أننـــي وجـــدت شـــقيقتك رقية.

ســـادت لحظـــة مـــن الصـــمت، ثـــم تغيـــرت ملامـــح وجـــه أيـــوب إلـــى الـــذهول، لكـــن ســـرعان مـــا ارتســـمت علـــى وجهـــه علامـــات الفـــرح الممـــزوج بالحـــذر. لـــم يـــرد أن يرفـــع آمالـــه كثيـــرا قبـــل التأكـــد. ســـألها بصـــوت متهدج:

-هل أنت متأكدة؟ كيف عرفت ذلك؟

أجابت هديل بحزم:

-لهـذا السـبب أحتـاج إلـى إثبـات علمـي. أريـد منـك عينـة مـن شـعرك ولعابـك لإجـراء تحليل الحمض النووي.

لـم يتـردد أيـوب لحظـة، بـل اسـتجاب لطلبهـا علـى الفـور.في صـباح اليـوم التالي،أسـرعت هـديل إلـى المستشـفى وسـلمت العينـات للفحـص. مـرت أيـام مـن الترقـب والقلـق، حتـى جـاء اليـوم المنتظـر. اسـتلمت الظـرف الـذي يحتـوي علـى نتـائج التحليـل، ويـدها ترتجـف. عنـدما فتحتـه وقـرأت النتـائج، شـعرت بصـدمة عنيفـة.لم تكـن تصـدق عينيهـا...ليلى ليسـت مجـرد فتـاة غريبـة. إنهـا بالفعـل شـقيقة أيـوب المفقـودة، رقيـة!لم تسـتطع كـتم مشـاعرها، فانـدفعت إلـى شـركة

أيوب،حيـــث وجدتـــه برفقـــة عمـــر. كانـــت الفرحـــة تغمرهـــا وهـــي تخبرهمـــا بالنتـــائج:

-أيـــوب، عمـــر، هنـــاك خبـــر عظـــيم! ليلـــى... إنها بالفعل رقية!

وقـــف أيـــوب للحظـــات غيـــر قـــادر علـــى اســـتيعاب الأمـــر، ثـــم غمـــرت الفرحـــة قلبه،لكنـــه ســـرعان مـــا اســـتعاد جديتـــه وانـــدفع مـــع عمـــر إلـــى ليلـــى ليخبراهـــا بالحقيقـــة.لكن المفاجـــأة الكبـــرى لـــم تكـــن فـــي النتـــائج، بـــل فـــي ردة فعـــل ليلـــى. عنـــدما أخبراهـــا بالحقيقـــة، لـــم تبـــتهج، بـــل صـــرخت بغضب وانفعال:

-أنـــا لســـت أختـــكم! هـــل فهمـــتم؟! لا تحـــاولوا إجبارني على تصديق شيء لا أعرفه!

وقــف أيــوب وعمــر فــي ذهــول تــام. كيــف يمكــن أن تــرفض الحقيقــة؟ كيــف لهــا أن تنكــر مــا أثبتــه العلم؟حاولــت هــديل تهدئــة الموقف، قائلة:

-دعونــا نمنحهــا بعــض الوقــت، هــذه صــدمة كبيرة بالنسبة لها.

لكــن مــع مــرور الأيــام، لــم تتحســن حالتهــا. كانــت تعــاني مــن كــوابيس متكــررة، وبــدأت حالتهــا النفســية فــي التدهور.عنــدما علــم والــداها المزيفــان بــالأمر، قــررا الهــرب بهــا مــن كنــدا، لكــن هــديل كانــت أســرع منهمــا. أبلغــت الشــرطة، وتــم القــبض عليهمــا فــي المطــار قبــل أن يتمكنــا مــن المغــادرة.خلال التحقيــق، وبعــد ضــغط شــديد، انهــارت العائلة اليهودية واعترفت بكل شيء:

-نعـم، ليلـى هـي رقيـة. لقـد تـم اختطافهـا مـن فلسـطين بالتعـاون مـع عمهـا،وأُجبرت علـى تنـاول عقـاقير أفقـدتها ذاكرتهـا بالكامل.

تـم الحكـم علـى العائلـة بالسـجن لمـدة خمسـة وعشـرين عامـا، بينمـا خضـعت ليلـى لعـلاج نفسـي مكثـف لاسـتعادة ذاكرتها.بعـد أشـهر مـن العـلاج، بـدأت ليلـى تسـتعيد ماضـيها شـيئا فشـيئا. وفـي يـوم مشـهود، عـادت إليهـا كـل الـذكريات دفعـة واحـدة. عنـدما نظـرت إلـى أيـوب وعمر،شـعرت بشـيء مألوف...ركضـت نحوهمـا، ودمـوع الفـرح تمـلأ عينيها،وارتمـت فـي أحضـانهما وهـي تبكـي بحرقـة ممزوجـة بالسـعادة.مرت

سـنتان، وخـلال هـذه الفتـرة، تغيـرت الحيـاة كثيـرا. تـزوج أيـوب مـن المحاميـة هـديل بعـد أن جمـع بينهمـا الحـب خـلال رحلـة البحـث عـن الحقيقـة، ورزقـا بتـوأمين. أمـا عمـر، فقـد عـاد إلـى عائلتـه ليبـدأ حيـاة جديـدة.وفي أحـد الأيـام، قـرر أيـوب وزوجتـه هـديل العـودة إلـى فلسـطين، إلـى الأرض التـي شـهدت طفولتـه. وقـف هنـاك، يتأمـل السـماء الزرقـاء، وهـو يتمـتم بكلمات تخرج من قلبه:

-هـا أنـا ذا، عـدت إلـى حيـث بـدأت... عـدت إلى بيتي الحقيقي.

أمـا عـن أيـوب، فقـد زج بعمـه فـي السـجن بعـد أن كشـفت جرائمـه البشـعة، إذ لـم يكـن الأمـر مقتصـرا علـى اختطـاف رقيـة

فحســب، بــل تبــين أنــه كــان متورطــا فــي شــبكة واســعة لتهريــب الأطفــال، بــاع خلالهــا بــراءة العشــرات بالتعــاون مــع جهــات خفيــة مقابــل المــال والمصــالح الدنيويــة الزائلــة.لم تكــن صــدمة أيــوب عاديــة، فقــد كــان يعتبــر عمــه بمثابــة الأب الثــاني لــه، ولــم يكــن يتخيــل يومــا أن يكــون الرجــل الــذي وثــق بــه شــريكا فــي جــرائم بهــذه البشــاعة. كيــف لرجــل مــن دمــه أن يبيــع الأطفــال الأبريــاء وكــأنهم ســلعة تتــداول فــي الأســواق؟ كيــف لــه أن يخــون أقــرب النــاس إليــه؟لكن رغــم الألــم، حملــت هــذه القضــية جانبــا مضــيئا، فقــد تمكنــت الســلطات مــن تحريــر العديــد مــن الأطفــال الــذين كــانوا ضــحايا لهــذه العصــابة، وعــاد

الكثيـــر مـــنهم إلـــى عـــائلاتهم، تمامـــا كمـــا عـــادت رقيـــة إلـــى أحضـــان أيـــوب وعمـــر. كانـــت العدالـــة الإلهيـــة تســـير فـــي طريقهـــا، لتكشـــف الحقـــائق واحـــدة تلـــو الأخـــرى، وتعيـــد لكـــل مظلـــوم حقـــه، ولتعطـــي لكـــل خائن جزاءه.

*****

الرجل الغامض

أمـا الرجـل الـذي سـاعد أيـوب فـي رحلتـه، فقـد تبـين لاحقـا أنـه لـم يكـن شخصـا عاديـا. كـان صـديق والـده القـديم، والـذي صـدم أيوب عندما علم أنه يعيش في كندا.

فـي كنـدا. بفضـل هـذا الرجـل، تمكـن أيـوب مـن كشـف أسـرار عمـه، ومعرفـة الحقيقـة كاملة قبل أن يفوت الأوان.

خلاصـة القـول: أبـدا، فهـي جـزء منك،تحمـل ماضـيك وتشـكل مسـتقبلك. لا تفقـد الأمـل فـي رحمـة الله، حتـى وإن ضـاقت بـك السـبل، ففرجـه يـأتي فـي اللحظـة التـي تظـن فيهـا أن لا مخـرج. فـالله قـادر علـى إعـادة مـا ضـاع، ومحـو الأحـزان التـي سـكنت القلـوب، وتحقيـق المسـتحيل

عنـدما تظـن أن كـل الأبـواب قـد أُغلقـت. ثـق بـــأن الخيـــر قـــادم، وأن العـــدل الإلهـــي لا يغيـــب، فمـــا كتـــب لـــك ســـيجد طريقـــه إليـــك مهما تأخر.

لماذا نحن؟

أشكر كل من ساعدني
على تأليف الكتاب وقدم
لي الدعم الكامل الذي هو
ثمرة جهد وسعي لتحقيق
حلمي بإصدار أول مؤلف لي

مديرة الدار : رزان محمد كليب
تصميم الغلاف : منى وجيه